

صديقي الأستاذ توفيق الحكيم

للأستاذ أنور المعداوي

—>>><<<—

أشكر الظروف الطيبة التي هيأت لنا أسباب اللقاء ، وتلك اللحظات الممتعة التي جمعت بيني وبينك حول مائدة الأدب والفن تحدثني وأحدثك ، وتصني إلى وأصني إليك ، ونفتقر معاً من شتى الطعوم والألوان ...

ولقيتني لقاء الصديق للصديق ، وكأنا كنا على ميماد . وأشهد لقد أكبرت فيك كثيراً من نواحي الشخصية الإنسانية ، تلك التي كنت أجهلها قبل أن ألقاك . ولقد قلت لنفسى بعد أول لقاء : ليتني قد عرفتك من قبل ، لتستقيم لي النظرة إلى فنك على هدى الخصائص الأصيلة في شخصيتك ... ومع ذلك قد هيا لي هذا اللقاء أن أبلغ منتصف الطريق إلى الغاية ، وأن أكشف النطاء عن كثير !

وكان لقاء آخر طويلاً فيه الطريق كله حتى بلغت منتهاه ، والفضل في ذلك منسوب إليك ؛ لأنك حدثتني عن نفسك وعن فنك حديثاً طويلاً لست فيه حرارة الصدق المنزه عن الأغراض . لقد هاجت في الأيام الأخيرة مرة هنا وصرات هناك ، وعلى الرغم من هذا كله فقد شاء أديبك أن تشد على يدي ، وأن تثني على قلبي ، وأن تلقاني لقاء الصديق ... ويشهد الله أنني ما هاجتك إلا لأنني أقدر كل التقدير ، وأحمل لك في نفسى رصييداً مذكوراً من الذكريات الغالية . أنت في عالم القصة معدن نفيس ، ومن حقى أن أزيل بيد الناقد ما علق بالمعدن النفيس من غبار الحياة ... هذا ما كنت أقوله لكل من يلقاني معاتياً على موافق منك ، وكنت أزيد على ذلك قولي : لقد عودني توفيق الحكيم أن ألقاه في النعم ، فإذا ما هبط مرة عن مستواه ، فن حقى أن أنور عليه لأرد بهذه النورة إلى مكانه الطبيعي !

قلت لك هذا فقدرت الدافع وشكرت القصد ، وملأت نفسى إعجاباً برحابة صدرك وسماحة طبعك ، وتقابلت النقد بروح مثالية هي روح الفنان .

وخضنا أبها الصديق الكريم في حديث طويل خرج منه

الأدب والفن بنصيب كبير ، وخرجت منه « أخبار اليوم » بتلك الكلمة القيمة التي كتبها على أثر لقائنا وبوسى من نقاشنا حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ...

أما حديثنا ، فقد التقينا فيه حول الكثير ، وافترقنا حول القليل ، والفضل في ذلك أيضاً منسوب إليك ؛ لأنك حين رحلت تقص على كثيراً من المؤثرات النفسية والدوافع الوجدانية ، تلك التي يستجيب لها قلبك ويخضع لها فمك ، وضمت بين يدي كثيراً من الوثائق التي يحتاج إليها الناقد ، إذا ما أراد أن يقيم الميزان للعمل الفني مرتبطاً بشخصية صاحبه ، ومتصلاً بأسباب النفس والحياة ... ومن هنا حلت نظرة جديدة إلى فنك محل النظرة القديمة ، تلك التي لم يكن أمامها انتظار إليك غير طريق واحد ، كل معاله سطور وكلمات !

ما قصدت من وراء هذا المقال إلى أن أسجل ما دار بيني وبينك من نقاش حول طبيعة الفن ورسالة الفنان ، وحول أمور أخرى تطرق إليها الحديث ، لأنها تتصل بنقاشنا من قريب أو من بعيد ، إن لذلك كله مناسبة أخرى أرجو أن أعرض فيها لكثير مما اتفقنا أو اختلفنا عليه ...

كل ما أقصد إليه هو أن أكشف لقراء الرسالة عن ناحية من نواحي شخصيتك الأدبية والإنسانية تركت أثرها البعيد في نفسى ؛ ومن حقك على أن أشير إليها في كثير من التقدير والإعجاب ، وهي دعوتك المخلصة إلى توثيق عرى الصداقة في الأدب ، وإيمانك العميق بجدوى الصفاء بين الأدباء ...

وأذكر أنك كتبت في هذا الموضوع مرة في (الرسالة) ، وتعرضت في سبيل تلك الغاية الكريمة لهجوم بعض أصحاب الظنون ممن لم يؤمنوا بصدق دعوتك !

أما أنا ، فقد لست حرارة إخلاصك وبيل مقصدك في موافقني لن أنساها لك : أولها موافقك من الصديق النبيل صاحب (الرسالة) حين قلت فيه كلمة حق لا أدري لم غصت بها حلوق فلم تنطق بها شفاء ! وثانيها موافقك من الدكتور طه حسين ، حين لم يجد كلمة عراء تذيبه وحشة الطريق وتسكر الصديق ؛ لقد وقعت وحدك لتصالحه بروحك من وراء الآماد والأهماد ...

إنك بكلماتك هادئة قد أثقت الدليل على أن الدنيا ما زالت